

تفسير سورة الرعد 7-18

تفسير سورة الرعد 7-18

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَأَنزَلَ عَلَيَّ هَذِهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّيَ؟} إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ {؟} وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [7]

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ} من قومك يا محمد، تمادياً في الصدود والعناد {لَوْ لَأَنزَلَ عَلَيَّ هَذَا} هَذَا {أَنزَلَ عَلَيَّ هَذِهِ} على محمد {هَذِهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّيَ} دليل وعلامة تدل على صدق نبوته، مثل ما أنزل على موسى وعيسى، وهذا كقولهم: {لَوْ لَأَنزَلَ عَلَيَّ هَذَا كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ}، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {إِنَّمَا أَنْتَ} يا محمد {مُنذِرٌ} لهم، أي مخوف، يخوف الناس من عذاب الله أن ينزل بهم إذا لم يطيعوه، وليس لك من الآيات إلا ما أعطاك الله {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} إمام يرشدهم إلى الطريق، ويدلهم عليه، ويتبعونه ويقتدون به.

قال السعدي: "أي: ويقترح الكفار عليك من الآيات، التي يُعِينُونَهَا ويقولون: {لَوْ لَأَنزَلَ عَلَيَّ آيَةٌ مِّن رَّبِّيَ} ويجعلون هذا القول منهم عذراً لهم في عدم الإجابة إلى الرسول، والحال أنه منذر ليس له من الأمر شيء، والله هو الذي ينزل الآيات.

وقد أيدته بالأدلة البيّنات التي لا تخفى على أولي الألباب، وبها يهتدي من قصده الحق، وأما الكافر الذي -من ظلمه وجهله- يقترح على الله الآيات، فهذا اقتراح منه باطل وكذب وافتراء.

فإنه لو جاءت أي آية كانت لم يؤمن ولم ينقد؛ لأنه لم يمتنع من الإيمان لعدم ما يدل على صحته، وإنما ذلك لهوى نفسه واتباع شهوته {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} أي: داع يدعوهم إلى الهدى من الرسل واتباعهم، ومعهم من

الأدلة والبراهين ما يدل على صحة ما معهم من الهدى". انتهى

{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ أَلٌۭ أَرٌۭ حَامٌ وَمَا تَزِدُ دَادٌ؟
وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [8]

{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ} في بطنها، يعلم كل شيء عنه.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء، وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات، كما قال تعالى: {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} أي: ما حملت من ذكر أو أنثى، أو حسن أو قبيح، أو شقي أو سعيد، أو طويل العمر أو قصيره، كما قال تعالى: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ} الآية". انتهى المراد.

{وَمَا تَغِيضُ} تنقص {أَلٌۭ أَرٌۭ حَامٌ} أن تلد المرأة قبل تسعة أشهر، أو بنزول الدم الذي يتغذى عليه الجنين في أثناء الحمل {وَمَا تَزِدُ دَادٌ؟} في الحمل عن تسعة أشهر، أو عدم نزول الدم {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ} بمِقْدَارٍ أي وكل شيء عنده سبحانه مُقَدَّرٌ بمقدار لا يزيد عليه ولا ينقص عنه.

قال السمعاني: "الغيض هو النقصان"، وقال: "وفي غيضِ الأرحام وزيادتها ثلاثة أقوال:

الأول: أنه النقصان عن سبعة أشهر - أي أن تلد قبل سبعة أشهر -، والزيادة على تسعة أشهر.

والثاني أنه: النقصان بإسقاط السقط، والزيادة بتمام الخلق.

والثالث: أنه النقصان بالحيز على الحمل، والزيادة بعدم الحيز على الحمل؛ فإن الولد ينتقص إذا أهرقت المرأة الدم على الحمل وتتم إذا لم تهرق.

وعن مكحول أنه قال: دم الحيز غذاء الولد في الرحم". انتهى

ويوجد أقوال أخرى ذكرها الطبري رحمه الله.

{عَلِمُ أَلٌ؟ غَيٌّ؟ بٍ وَالشَّهَدَةُ أَلٌ؟ كَبِيرٌ أَلٌ؟ مُتَعَالٍ؟} [9]

قال ابن كثير: {عَلِمُ أَلٌ؟ غَيٌّ؟ بٍ وَالشَّهَدَةُ} أي: يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم، ولا يخفى عليه منه شيء {الْكَبِيرُ} الذي هو أكبر من كل شيء {الْمُتَعَالِ} أي: على كل شيء {قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} وقهر كل شيء فخضعت له الرقاب، ودان له العباد طوعا وكرهاً. انتهى

وقال الطبري: يقول تعالى ذكره: والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تروه، وما شاهدتموه، فعاینتم بأبصاركم، لا يخفى عليه شيء، لأنهم خلقه وتدبيره.

{الكبير} الذي كل شيء دونه {المتعال} المستعلي على كل شيء بقدرته. وهو "المتفاعل" من "العلو"، مثل "المتقارب" من "القرب"، و"المتداني" من "الدنو". انتهى

{سَوَاءٌ؟ مِّنْكُمْ مِّنْ؟ أَسْرٌ أَلٌ؟ قَوْلٌ؟ لٍ وَمَنْ جَهْرٌ بِهِ؟ وَمَنْ؟ هُوَ مُسٌّ؟ تَخٌ؟ فٍ؟ بِأَلِيٍّ؟ لٍ وَسَارِبٌ؟ بِالنَّهَارِ؟} [10]

{سَوَاءٌ؟ مِّنْكُمْ مِّنْ؟ أَسْرٌ أَلٌ؟ قَوْلٌ؟ لٍ وَمَنْ جَهْرٌ بِهِ؟} يستوي في علمه تبارك وتعالى من أخفى منكم - أيها الناس - القول، ومن أعلنه {وَمَنْ؟ هُوَ مُسٌّ؟ تَخٌ؟ فٍ؟ بِأَلِيٍّ؟ لٍ} ويستوي في علمه كذلك من هو مستتر بظلمة الليل عن أعين الناس {وَسَارِبٌ؟ بِالنَّهَارِ؟} ومن هو ظاهر بأعماله في وضح النهار.

لا يخفى عليه شيء من ذلك، سواءً عنده سرُّ خلقه وعلايتهم، فلا يستتر عنه شيء ولا يخفى.

{لَهُ؟} مُعَقَّبَتٌ؟ مَنْ؟ بِي؟ نَ يَدَيَّ؟ هَ وَمَنْ؟ خَلَّ؟ فَهَ؟ يَحْفَظُونَهُ؟ مَنْ؟
أَمْ؟ رَ اللَّهُ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ؟ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ؟ وَإِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ؟ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ؟ مِنْ وَالٍ؟ [11]

{لَهُ؟} أي: لله تبارك وتعالى {مُعَقَّبَاتٌ} ملائكة يعقب بعضهم بعضا على
الإنسان، أي يذهب بعضهم ويأتي آخرون بعدهم مباشرة {مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ}
من أمامه {وَمَنْ خَلْفَهُ} من وراء ظهره {يَحْفَظُونَهُ} يحفظون الإنسان {مَنْ
أَمْرَ اللَّهِ} أي: يحفظونه من كل سوء بأمر الله تبارك وتعالى، فإذا جاء ما
قدره الله عليه تركوه فوق المقدر.

قال ابن كثير: أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس
بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون
لحفظ الأعمال، من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار.

فائنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب
الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات.

وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وآخر من قدامه،
فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً.

حافظان وكاتبان؛ كما جاء في الصحيح: " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل
وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليه
الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون:
أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون..". انتهى المراد.

{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ} من عافية ونعمة {حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ مِنْ
عَافِيَةٍ وَنِعْمَةٍ، فَيُزِيلُ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَيُهْلِكُهُمْ، حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ
ذَلِكَ، بَظَلَمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَاعْتَدَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيُحِلُّ بِهِمْ حِينَئِذٍ
عَقُوبَتَهُ وَتَغْيِيرَهُ". انتهى

وقال السعدي رحمه الله: بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها؛ فيسلبهم الله عند ذلك إياها.

وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة".

{وَأِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا} أي: هلاكاً وشدة وأمرًا يكرهونه {فَ} إنه {لا مَرَدٌ لَهُ} فلا يَقْدِرُ على ردِّ ذلك عنهم أحدٌ غيرُ اللَّهِ {وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ} من غير الله {مِنْ وَالٍ} يتولى أمورهم فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه، فليحذروا من الإقامة على ما يكره الله خشية أن يحل بهم من العقاب ما لا يرد عن القوم المجرمين. قاله السعدي.

{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْ؟ بَرِّقَ؟ قَ خَوْ؟ فَا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ} [12]

يقول تعالى: {هُوَ} الله تبارك وتعالى {الَّذِي يُرِيكُمْ} أيها الناس {الْبَرْقَ} وهو ما يرى من النور اللامع ساطعاً في السماء من خلال السحاب {خَوْفًا} من أذاه {وَطَمَعًا} في نفعه.

قال قتادة: خوفاً للمسافر يخاف أذاه ومشقته، وطمعاً للمقيم يرجو بركته ومنفعته، ويطمع في رزق الله.

{وَيُنشِئُ} ويخلق، أي: ويخلقها منشأة جديدة {السَّحَابَ الثَّقَالَ} وهي لكثرة مائها ثقيلة قريبة إلى الأرض. قال مجاهد: والسحاب الثقال الذي فيه الماء. قاله ابن كثير.

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ؟ وَالْمَلَأُكَةُ مِنْ؟ خَيْفَتِهِ؟ وَيُرْسِلُ الصَّوْعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ؟ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ أَلْ؟ مَحَالٍ} [13]

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ} قال السعدي: وهو الصوت الذي يُسمع من السحاب المزعج للعباد، فهو خاضع لربه مسبح بحمده".

وقال الطبري: "وَيُعَظِّمُ اللَّهُ الرَّعْدَ وَيُمَجِّدُهُ، فَيُثْنِي عَلَيْهِ بِصِفَاتِهِ، وَيُنَزِّهَهُ مِمَّا أُضَافَ إِلَيْهِ أَهْلُ الشَّرْكِ بِهِ، وَمِمَّا وَصَفُوهُ بِهِ، مِنْ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَالِدِ، تَعَالَى رَبُّنَا وَتَقَدَّسَ". انتهى

ولا يصح شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم في تعريف الرعد أو البرق، أو في أذكار خاصة بهما.

قال: {و} تسبح {الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ} أي: خوفاً ورهبةً منه تبارك وتعالى {وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ} المحرقة، وهي هذه النار التي تخرج من السحاب {فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ} على من يشاء من مخلوقاته فيهلكه {وَهُمْ؟} {يَجْدُلُونَ فِي اللَّهِ} والكفار يخاصمون في وحدانية الله {وَهُوَ} الله تبارك وتعالى {شَدِيدُ أَل؟ مِحَال} قال السعدي: أي: شديد الحول والقوة فلا يريد شيئاً إلا فعله، ولا يتعاصى عليه شيء، ولا يفوته هارب.

فإذا كان هو وحده الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب التي فيها مادة أرزاقهم، وهو الذي يدبر الأمور، وتخضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها، وتزعج العباد وهو شديد القوة؛ فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له". انتهى

{لَهُ؟} {دَع؟} {وَهُ؟} {أَل؟} {حَق؟} {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ؟} {لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ؟} {إِلَّا كِبْسُ كَفِّي؟} {هَ إِلَى أَل؟} {مَاءَ لَيْب؟} {لُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِّغُهُ؟} {وَمَا دُعَاءُ أَل؟} {كُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَلٍ} [14]

{لَهُ؟} أي: لله وحده {دَعْوَةُ الْحَقِّ} قال الطبري: "وإنما عنى بالدعوة الحقّ توحيد الله، وشهادة أن لا إله إلا الله".

قال السعدي: "وهي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العباد ودعاء المسألة له تعالى، أي: هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء،

والخوف، والرجاء، والحب، والرغبة، والرغبة، والإنابة؛ لأن ألوهيته هي الحق، وألوهية غيره باطلة **{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ}** من الأوثان والأنداد التي جعلوها شركاء لله.

{لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ} أي: لمن يدعوها ويعبدها بشيء قليل ولا كثير لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة **{إِلَّا كَبَّاسُطٌ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ}** الذي لا تناله كفاه لبعده **{لِيَبْلُغَ}** ببسط كفيه إلى الماء **{فَأَهْ}** فإنه عطشان ومن شدة عطشه يتناول بيده، ويبسطها إلى الماء الممتنع وصولها إليه، فلا يصل إليه.

كذلك الكفار الذين يدعون معه آلهة لا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة لأنهم فقراء كما أن من دعواهم فقراء، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير.

{وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} لبطلان ما يدعون من دون الله، فبطلت عباداتهم ودعائهم؛ لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها، ولما كان الله تعالى هو الملك الحق المبين، كانت عبادته حقاً متصلة النفع لصاحبها في الدنيا والآخرة.

وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيهه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء كما قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}**.

{وَلِلَّهِ؟ يَسْ؟ جُدُّ؟ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا؟ هَا؟ وَظِلُّهُمْ بِالْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْأَصْوَالِ؟} [15]

{وَلِلَّهِ؟ يَسْ؟ جُدُّ؟ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ ضِ؟} أي: جميع ما احتوت

عليه السماوات والأرض كلها خاضعة لربها، تسجد له {طَوْعًا وَكَرْهًا} فالطوع لمن يأتي بالسجود والخضوع اختيارا كالمؤمنين، والكره لمن يستكبر عن عبادة ربه، وحاله وفطرته تكذبه في ذلك {وَظَلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} أي: ويسجد له ظلال المخلوقات أول النهار وآخره، وسجود كل شيء بحسب حاله كما قال تعالى: {وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} وَلَكِنْ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} {؟} {؟}

فإذا كانت المخلوقات كلها تسجد لربها طوعا وكرها؛ كان هو الإله حقا المعبود المحمود حقا، وإلهية غيره باطلة، ولهذا ذكر بطلانها وبرهن عليه بقوله..". فذكر الآيات الآتية. انتهى كلامه رحمه الله.

{قُلْ} مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ ضِيقُ قَلْبِ اللَّهِ؟ قُلْ؟ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لِيَأْتِيَ لَكُمْ لِكُونِ لِنَفْسِهِمْ؟ نَفْعٌ أَمْ وَلاَ ضَرًّا؟ قُلْ؟ هَلْ؟ يَسْتَتَوِي أَلْأَعْمَى؟ وَالْبَصِيرُ أَمْ؟ هَلْ؟ تَسْتَتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ؟ أَمْ؟ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ؟ فَتَشَبَّهَ أَلْأَخْلَقُ عَلَيَّ؟ هُمُ؟ قُلْ لِلَّهِ خَلْقُ كُلِّ شَيْءٍ؟ وَهُوَ أَلْوَاحِدُ أَلْقَهْرُ} [16]

{قُلْ} يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الذين يعبدون مع الله غيره {مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ ضِيقُ قَلْبِ اللَّهِ؟} من خالق السماوات والأرض، ومدبر أمرهما؟!

{قُلْ} يا محمد: {اللَّهُ} هو خالقهما ومدبر أمرهما، وهم يقرون بهذا ويعترفون به، لقول الله تبارك وتعالى:

{وَلَيْتِنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}

{قُلْ} لهم يا محمد {أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لِيَأْتِيَ لَكُمْ لِكُونِ لِنَفْسِهِمْ؟ نَفْعٌ أَمْ وَلاَ ضَرًّا؟} أي لم فعلتم ذلك؟! وأنتم تقرون بأنه خالقهما ومدبر أمرهما.

لأي شيء اتخذتم من غير الله آلهة تعبدونها وتتقربون إليها وهم:

{ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا } فإذا كانوا لا يملكون نفعاً ولا ضراً لأنفسهم، فهم لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً بطريق الأولى.
هذا استفهام إنكار وتوبيخ.

ثم ضرب الله لهم مثلاً، فقال: { قُلْ؟ } لهؤلاء المشركين يا محمد { هَلْ؟ }
يَسْ؟ تَوِي أَلْ؟ أَعْ؟ مَيْ؟ } الذي لا يرى، ولا يعرف الطريق وحده
{ وَأَلْ؟ بَصِيرٌ } الذي يرى ويعرف طريقه.
فكما أن الأعمى والبصير لا يستويان، فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يرى الحق ويتبعه، والكافر الذي لا يعرف الحق ولا يتبعه.

{ أَمْ؟ هَلْ؟ تَسْ؟ تَوِي الظُّلْمَتُ وَالنُّورُ؟ } فكما أن الظلمات التي لا تُرى فيها طريق الحق لتسلك، والنور الذي ترى فيه طريق الحق وتسلك لا يستويان؛ فكذلك لا يستوى الكفر الذي هو ضلال عن طريق الحق، والإيمان الذي هو سلوك طريق الحق، طريق الإيمان.

{ أَمْ؟ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِ قَه؟ } أم جعلوا لله سبحانه شركاء معه في الخلق خلقوا مثل خلق الله { فَتَشَبَهَ أَلْ؟ خَلْقُ عَلِيٍّ؟ هِمَّ؟ }
فاختلط عندهم خلق الله بخلق شركائهم؟

قال السمعاني: "ومعنى الآية: أنهم كما عرفوا أن الأصنام لا تخلق كخلق الله؛ فلما ينبغي أن تعبد كعبادة الله". انتهى

{ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ؟ وَهُوَ أَلْ؟ وَحْدُ أَلْ؟ قَهْرٌ } قل لهم يا محمد: الله وحده هو خالق كل شيء لا شريك له في الخلق، وهو المنفرد بالألوهية، الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، القهار: الغالب الذي لا يغلبه شيء المذلِّ لعباده.

قال ابن القيم: "القهار لا يكون إلا واحداً، وأنه يستحيل أن يكون له شريك؛ بل القهر والوحدة متلازمان".

{ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ؟ أَوْ دِيَةٌ؟ بِقَدَرِهَا فَاحْ؟ تَمَلَّ السِّي؟ لُ زَبْدًا }

رَابِيًا؟ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيَّ؟ ه فِي النَّارِ أَب؟ تَغَاءَ حَل؟ ية؟ أَوْ؟ مَتَّعَ زَبَدًا؟
 مَثُّهُ؟ كَذَلِكَ يَضُّ؟ رَبُّ اللَّهِ أَل؟ حَقٌّ وَأَل؟ بَطْلٌ؟ فَأَمَّا الزَّبَدُ
 فَيَذَّ هَبٌ جُفَاءً؟ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُّ؟ كَثُ فِي أَل؟ أَر؟ ضٍ؟ كَذَلِكَ
 يَضُّ؟ رَبُّ اللَّهِ أَل؟ أَم؟ ثَال؟ [17]

ثم ضرب مثلا للحق والباطل، وبقاء الحق وزوال الباطل، فقال {أَنْزَلَ} الله تبارك وتعالى {مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} من السحب مطرا، فنزل المطر على الأرض {فَسَأَلَتْ؟ أَوْ؟ دِيَّةُ؟ بِقَدْرِهَا} فاحتملتة الأودية بمقدار ملئها، ومنها الصغير ومنها الكبير {فَأَحَّ؟ تَمَلَّ السِّي؟ لُ} سيل الماء الذي سال بسبب المطر، حمل معه {زَبَدًا رَابِيًا؟} الزيد: الرغوة التي تعلق السيل، ورابيا أي الزيد عاليا على السيل.

وقال البغوي: الزيد: الخبث الذي يظهر على وجه الماء، وكذلك على وجه القدر.

قال الطبري: "فهذا أحدٌ مثلي الحق والباطل، فالحق هو الماء الباقي الذي أنزله الله من السماء، والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل".

والمثل الآخر الذي ضربه الله تبارك وتعالى لبقاء الحق، وزوال الباطل: {وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ} ومما يشعلون النار عليه من معادن الأرض كالذهب والفضة والنحاس والحديد {أَب؟ تَغَاءَ} طلب {حَل؟ ية؟} تتحلون بها، أي لتصنعوا منها حلية؛ كالأساور والسلاسل {أَوْ؟ مَتَّعَ} كالأواني إذا أذيت {زَبَدًا؟ مَثُّهُ؟} أي يخرج منها زيد مثل زيد السيل، وهو خبثه الذي ينفيه الكير، يعني الشوائب التي تخرج من الذهب والفضة والنحاس عند إذابتها وتصنيعها على النار.

وكما مثل الله بالماء وما يوقد عليه من المعادن {كَذَلِكَ يَضُّ رَبُّ اللَّهِ أَل؟ حَقٌّ وَأَل؟ بَطْلٌ؟} كذلك يُمَثِّلُ الحق والباطل {فَأَمَّا الزَّبَدُ} الرغوة وما لا ينفع الذي علا السيل وما أوقد عليه من المعادن {فَيَذَّ هَبٌ جُفَاءً؟} باطلا مرميا به فلا نفع منه {وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ} من الماء والذهب

والفضة والنحاس {فِيمَ؟ كُتُّ} يبقى {في الأرض} فالماء تشربه الأرض، أو يبقى في البرك، والذهب والفضة وما شابهها تبقى للناس ينتفعون بها، كذلك الباطل يضمحل وينمحق، ويبقى الحق ثابتاً {كَذَلِكَ} كما مثل الله هذا المثل، كذلك {يَضُّ رَبُّ اللَّهِ أَلْ؟ أَمْ؟ تَالُ} يمثل الأمثال.

قال أهل العلم: ضرب الله مثلاً لتلاشي الباطل وبقاء الحق بماء مطر نازل من السماء حتى سالت به الأودية، كلُّ حسب حجمه صغيراً وكبيراً، فحمل السيل الغُثَاءَ والرَّغْوَةَ مرتفعاً فوق الماء.

وضرب مثلاً آخر لهما ببعض ما يوقد الناس عليه من المعادن النفيسة ابتغاء صهرها وصنع ما يتزين الناس به، بمثل هذين المثليين يضرب الله مثل الحق والباطل، فالباطلُ في المثل الأول، مثلُ الغُثَاءِ والزَّيْدِ الطافي على الماء، وفي المثل الثاني مثلُ ما ينفيه صهرُ المعدن من الصدأ.

والحق في المثل الأول مثل الماء الصافي الذي يُشرب منه أو تنتفع به الأرض، وينبت الثمار والكأ والعشب، وفي المثل الثاني: مثل ما بقي من المعدن بعد صهره فينتفع الناس به، كما ضرب الله هذين المثليين يضرب الله الأمثال للناس؛ ليتضح الحق من الباطل. انتهى بتصرف.

{لِّلَّذِينَ أَسَّ؟ تَجَابُوا لِرَبِّهِمْ أَلْ؟ حُسْ؟ نَى؟} وَالَّذِينَ لَمْ؟ يَسَّ؟ تَجِيبُوا لَهُ؟
 لَوْ؟ أَنْ لَهُمْ مَا فِي أَلْ؟ أَرَّ؟ ضَ جَمِيعاً وَمَثَّ؟ لَهُ؟ مَعَهُ؟ لَأَفَّ؟ تَدَوَّ؟ أ
 بِهِ؟؟ أَوْلَئِكَ لَهُمْ؟ سَوْءَ أَلْ؟ حِسَابٍ وَمَأْ؟ وَبِهِمْ؟ جَهَنَّمَ؟ وَبِئْسَ؟ سَ
 أَلْ؟ مِهَادُ؟ [18]

لما بين تعالى الحق من الباطل ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب لربه، فذكر ثوابه، وغير مستجيب فذكر عقابه فقال: {لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ} أي آمنوا بالله وأطاعوه وأطاعوا رسوله، لهم {الْحُسْنَى} وهي الجنة {وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ} لم يطيعوه ويؤمنوا به ولم يؤمنوا برسوله ويطيعوه {لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً} من ذهب وفضة وغيرها {وَمِثْلَهُ مَعَهُ} مضاعفاً {لَافْتَدَوْا بِهِ} لبذلوا كل ذلك فداءً لأنفسهم من

العذاب.

{أولئك} الذين لم يستجيبوا لله {لَهُمْ سُوءُ الْحَسَابِ} قال الطبري: "لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر لهم منها شيئاً، ولكن يعذبهم على جميعها". ثم أخرج عن إبراهيم النخعي أنه قال: "يا فرقد، أتدرى ما سوء الحساب؟"، قلت: لا. قال: "هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله، لا يغفر له منه شيء". {مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} ومسكنهم الذي يسكنونه يوم القيامة جهنم {وَيَبْسُ الْمِهَادُ} ويئس الفراش والوطاء جهنم التي هي مأواهم يوم القيامة.